

## تفسير البحر المحيط

@ 478 @ المَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ { تفسيراً وقراءة في أوائل سورة الحج . { إِنَّ }  
الَّذِي أَحْيَاهَا \* فَاَنْظُرْ إِلَى { : يرد الأرواح إلى الأجساد ، إنه على كل شيء قدير  
: لا يعجزه شيء تعلقت به إرادته . .

{ إِنَّ } الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِئَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ  
يُلَاقِي \* إِنَّ } الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِئَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ  
يُلَاقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي \* إِنَّ } الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ  
لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَاتٌ عَزِيزٌ \* لََّا يَأْتِيهِ الْعِبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ \* مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا  
مَا قَدْ قِيلَ \* مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ  
\* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ \*  
أَعْجَمِيٌّ \* وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ  
آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ \* قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ  
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . .

لما بين تعالى أن الدعاء إلى دين الله أعظم القربات ، وأنه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد  
والعدل والبعث ، عاد إلى تهديد من ينافر في تلك الآيات ويجادل ، فقال : { إِنَّ }  
الَّذِينَ يُلَاحِدُونَ فِئَايَاتِنَا { ، وتقدم الكلام على الإلحاد في قوله : {  
وَذَرُّوا \* وَالَّذِينَ \* يُلَاحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ { ، وذكر تعالى أنهم لا يخفون  
عليه ، وفي ذلك تهديد لهم . وقال قتادة : هنا الإلحاد : التكذيب ، ومجاهد : المكاء  
والصفير واللغو . وقال ابن عباس : وضع الكلام غير موضعه . وقال أبو مالك : يميلون عن  
آياتنا . وقال السدي : يعاندون رسلنا فيما جاءوا فيه من البينات والآيات . ثم استفهم  
تقريراً : { أَفَمَنْ \* يُلَاقِي \* فِي النَّارِ { ، بإلحاده في آياتنا ، { خَيْرٌ أَمْ  
مَنْ يَأْتِي تِلْكَ آمِنًا { ، ولا اشتراك بين الإلقاء في النار والإتيان آمناً ، لكنه ، كما  
قلنا ، استفهام تقرير ، كما يقرر المناظر خصمه على وجهين ، أحدهما فاسد يرجو أن يقع في  
الفساد فيتضح جهله ، ونبه بقوله : { يُلَاقِي \* فِي النَّارِ { على مستقر الأمر ، وهو  
الجنة ، ويقول : { مَنْ { على خوف الكافر وطول وجله ، وهذه الآية ، قال ابن جرير : عامة  
في كل كافر ومؤمن . وقال مقاتل : نزلت في أبي جهل وعثمان بن عفان . وقيل : فيه وفي  
عمار بن ياسر . وقيل : فيه وفي عمر . وقيل : في أبي جهل وحمزة بن عبد المطلب . وقال

الكلبي : وأبو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم ) . .

ولما تقدم ذكر الإلحاد ، ناسب أن يتصل به من التقرير من اتصف به . ولم يكن التركيب :

أَمْ مِنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ، كما قدم ما يشبهه في قوله : {

أَفَمَنْ يَعْزَّمُ أَنْزَمًا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى

{ ، وكما جاء في سورة القتال : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ

رُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ } . { أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } : وعيد وتهديد بصيغة الأمر

، ولذا جاء { إِنْزَمَهُ بِمَا \* تَعَزَّمُونَ \* بِصِيرٍ } فيجازيكم بأعمالكم . .

{ إِنْزَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِي كُذِّرَ لَهُمْ } : هم قريش ومن تابعهم من

الكفار غيرهم ، والذكر : القرآن هو بإجماع ، وخبر إن اختلفوا فيه أمذكور هو أو محذوف ؟

فقل : مذكور ، وهو قوله : { أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } ، وهو قول

أبي عمرو بن العلاء في حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبي بردة . سئل بلال في مجلسه عن هذا

فقال : لم أجد لها نفاذاً ، فقال له أبو عمرو : وإنه منك لقريب { أُولَئِكَ

يُنَادَوْنَ } . وقال الحوفي : ويرد على هذا القول كثرة الفصل ، وأنه ذكر هناك من تكون

الإشارة إليهم ، وهو قوله : { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِعَادًا نَّهْمٌ وَقُرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ } . وقيل : محذوف ، وخبر إن يحذف لفهم المعنى

، وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو : معناه في التفسير : إن الذين

كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به ، وإنه لكتاب ، فقال عيسى : أجدت يا أبا عثمان . وقال

قوم : تقديره معاندون أو هالكون . وقال الكسائي : قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل إن

، وهو قوله : { أَفَمَنْ \* يُلَاقِي \* فِي النَّارِ } . انتهى ، كأنه يريد : دل عليه ما

قبله ، فيمكن أن يقدر يخلدون في النار . وقال الزمخشري : فإن قلت : بم اتصل قوله : {

إِنْزَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِي كُذِّرَ } ؟ قلت